البحث العاشر:

الأخلاق بين الغزالي وكانط (دراسة مقارنة من منظور تربوي)

إعداد:

أ. عليا بنت علي بن محمد العقيلي
طالبة دكتوراه في أصول التربية قسم أصول التربية
كلية التربية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المملكة العربية السعودية

الأخلاق بين الغزالي وكانط (دراسة مقارنة من منظور تربوي)

أ. عليا بنت علي بن محمد العقيلي
طالبة دكتوراه في أصول التربية قسم أصول التربية
كلية التربية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المملكة العربية السعودية

• **المستخلص** :
هدفت الدراسة إلى: التعرف على مفهوم الأخلاق عند الغزالي وعند كانط من حيث (مصدر الأخلاق، غاية الأخلاق، الفعل الأخلاقي)، ومعرفة العوامل التي أثرت على مفهوم الأخلاق عند الغزالي وكانط، وتحديد أوجه الشبه والاختلاف بين الأخلاق عند الغزالي وعند وكانط، ومن ثم عرض بعض التطبيقات التربوية المستنبطة من ذلك. ولتحقيق أهداف الدراسة استخدمت الباحثة المنهج المقارن من خلال مدخل جورج بيريداي، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: اختلاف مفهوم الأخلاق في الفكر الإسلامي عند الغزالي الذي اعتمد على مصدر رباني (القرآن والسنة) عن مفهوم الأخلاق في الفكر الغربي عند كانط الذي اعتمد على العقل. اهتمام الإسلام بالأخلاق وبتربية الطفل على الأخلاق المحمودة، لأن عقل الطفل قاصر لا يستطيع التمييز بين الحسن والسيئ، في حين أهمل كانط ذلك ولم يراعي المراحل العمرية.
عناية الإسلام بمختلف جوانب الإنسان العقلية والوجدانية والسلوكية في التربية الأخلاقية. تميزت الأخلاق عند الغزالي بارتباطها الكبير بالدين الإسلامي المعتمدة على القرآن الكريم والسنة النبوية ومنهجها الإرشادي والموجه إلى عموم الناس صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق الإسلامية، التربية الأخلاقية، أخلاق الواجب

Ethics Between Al-Ghazali and Kant, A Comparative Study From an Educational Perspective.

Alia Ali Mohammed Al-Aqili

Abstract

The study aimed to: identify the concept of ethics for Al-Ghazali and Kant in terms of (source of ethics, goal of ethics, moral act), and to know the factors that influenced the concept of ethics for Al-Ghazali and Kant, and to identify the similarities and differences between ethics when Al-Ghazali and Kant, and then presented Some educational applications deduced from this.In order to achieve the objectives of the study, the researcher used the comparative approach through the entrance of George Perdayi, and the study reached several results, the most important of which are:The concept of morality in Islamic thought differs from Al-Ghazali, who relied on a divine source (the Qur'an and Sunnah) from the concept of morality in Western thought by Kant, who relied on reason.Islam's interest in morals and raising the child on good morals, because the child's mind is minor and cannot distinguish between good and bad, while Kant neglected this and did not take into account the age stages.Islam's attention to the various aspects of human mental, emotional, and behavioral moral education.Al-Ghazali's morals were distinguished by its great association with the Islamic religion, which is based on the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet and its guiding method and directed to the general public, young and old, their world and ignorant people.

Key words: Islamic ethics, moral education, ethics of duty

• **المقدمة**:

تشكل الأخلاق ركنا أساسيا من أركان الوجود الاجتماعي، ونسقا حيويا في نسيج الحياة الإنسانية المعاصرة. فالأخلاق نظام من القيم يوجه حياة الفرد وينهض بها إلى أرقى مستوياتها الإنسانية، والإنسان لا يحقق جوهره الإنساني إلا في صورته الأخلاقية، لأنه الكائن الوحيد في مملكة الكائنات الحية الذي يضحي برغباته وميوله على مذابح السمو الأخلاقي، سعيا إلى تجسيد قيم الحق، والخير، والجمال، والشرف، والكرامة، والإيثار، والتسامح، والشجاعة، وكل القيم والفضائل التي تشكل جوهر الحياة الأخلاقية وغايتها.

لقد أقر المفكرون والباحثون، على مر التاريخ الإنساني، أن حياة المجتمعات الإنسانية لا تستقيم من غير القيم الأخلاقية، وذلك لأنها تشكل النسيج الحيوي لوجود الإنسان والمجتمع في آن واحد، ومن هذا المنطلق يمكن القول: إن غياب القيم الأخلاقية أو تدهورها يؤدي بالضرورة إلى تصدع المجتمع وانهياره وتداعيه، إذ لا يمكن أن تقوم للمجتمع قائمة، من غير القيم الأخلاقية، ومن غير الفضائل التي تضمن له التماسك والوحدة والقوة والانسجام (وطفة، ٢٠١٣م، ص٩٢).

لقد أدرك المفكرون، من جميع المشارب والمذاهب، أن القيم الأخلاقية ضرورية في المجتمع، وأنه من غير الأخلاق تذهب الحضارة الإنسانية وتندثر، ويفقد البشر صمام الأمن والأمان، وذلك لأن الحياة من غير القيم تجعل الإنسان خاضعا لنزواته الوحشية وغرائره التدميرية، فيحل الخراب والدمار، وتغيب القيم الخلاقة التي تسمو بالإنسان وتنهض به إلى رحاب العالم الإنساني.

وتتكون الأخلاق بوصفها أحد مكونات الشخصية الإنسانية من مجموعة مقومات يعد الدين من أهم العوامل فيها، ثم القيم العليا ثم التقاليد والعادات وغيرها، وقد ركزت كل الديانات السماوية على الأخلاق بل أنها كانت بواقعها رسالات أخلاقية في إصلاح النفوس والضمائر بما تحتويه من تعاليم تؤكد بها على السلوك السوي وتدفع نحو ممارسته فضلا عن إسهامها في الفهم الدقيق لمعنى الحياة وغرضها بشكل يجعلها أكثر فاعلية(خزعلي، ٢٠٠٥م، ص١٨).

ويقدم التاريخ الحضاري للأمة العربية والإسلامية - إذ ارض مهبط الأديان السماوية - شواهد كثيرة على أن التربية الخلقية قد احتلت مكانة مرموقة عبر تاريخها، وكانت هدفا رئيسا من أهداف التربية الإسلامية التي استمدت فلسفتها ومنهجها في إعداد الإنسان الصالح من فلسفة الإسلام ونظرته للكون والطبيعة والآخرة، إذ تعتمد هذه التربية بشكل رئيس على القرآن الكريم بوصفه المصدر الأول للتربية الإسلامية أو على سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم التي تجسدت فيها المبادئ السامية، والأخلاق هي أحد ركنين أساسيين في الحفاظ على ديمومة الحضارة العربية الإسلامية إذ إن سياج الحضارة في العروبة والإسلام هما الدين والأخلاق، فمبادئ الأخلاق تتدخل في كل نظم الحياة وفي مختلف أوجه نشاطها سواء في السلوك الشخصي أو في السلوك الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي، ومن المحال إقامة نظام صالح أو مجتمع فاضل من دون أخلاق وقيم

شريفة تمثل الحارس الأمين الذي يكفل دوام الحضارة ويمنع انحرافها وتعثرها (خزعلي، ٢٠٠٥م، ص١٨)

لقد اتفق معظم فلاسفة العرب والمسلمين على أن الغرض الأول للتربية والتعليم يتمثل بتهذيب أخلاق الأفراد، ودعت أغلب الشرائع والتعاليم القديمة إلى الأخلاق مؤكدة على حقوق الإنسان وواجباته؛ وسعت إلى دعمها وتثبيتها وإن اختلفت في مدى احتوائها لكافة الحقوق.(خزعلي، ٢٠٠٥م، ص١٩)

وقد طورت الفلسفة الإسلامية ذلك فأصبحت الأخلاق مدعومة بالبعد الروحي الديني الذي يؤكد عليها. ولم تعد قضية تحقيق السعادة الدنيوية وحدها، وإنما أضيف إليها بعد لا يقل أهمية وهو نيل الثواب الإلهي، والسعادة الأخروية الدائمة كما ذهب الغزالي وغيره من مفكري الإسلام، وحديثا لم تنفصل التربية عن الأخلاق حتى عند الفلسفات التي أبعدت الدين عن الأخلاق، بل أكد المثاليون والماديون على أهمية التربية الأخلاقية، مهما كان مصدرها، سواء استمدت من العقل أو من المجتمع أو من الدين في تنشئة الأبناء على القيم الصحيحة (ميلود، ٢٠١١م، ص٨٦).

وتأسيسا على هذا التصور، فرض البحث الأخلاقي نفسه مطلبا علميا وحضاريا للأمم والشعوب، وشكل هذا المطلب الحضاري منطلقا للدراسات الأخلاقية التي تبلورت في علم الأخلاق، وهو علم معياري يبحث فيما يجب أن يكون وفيما هو كائن على المستوى القيمي والأخلاقي في المجتمع الإنساني، وقد تشكل هذا العلم تحت تأثير الاحتياجات الأخلاقية المتنامية للمجتمع، حيث يقوم على دراسة الأنظمة الأخلاقية والفضائل والقيم كما يقوم على دراسة أفعال الإنسان من حيث اتصافها بالفضيلة والرذيلة أومن حيث انسجامها مع الضمير الأخلاقي للمجتمع. (وطفة، ٢٠١٣م، ص٩٢).

- **موضوع الدِّراسَة**:

يعتبر علم الأخلاق ركنا أساسيا من أركان مباحث الفلسفة منذ نشأة الفكر الفلسفي، وقد خصص له مكانة مميزة ومهمة في جميع المذاهب الفلسفية على اعتبار أن الفلسفة تبحث في القيم الثلاث الأساسية: الحق، الخير، الجمال. (آمنة الزائدي، ٢٠١٩م، ص٣١٠)

ويعد أبو حامد الغزالي من كبار المفكرين المسلمين عامة ومن كبار المفكرين بمجال علم الأخلاق والتربية خاصة، الذين بينوا الطرق العملية لتربيةِ الأبناءِ واصلاح إلأخلاق الذميمة وتخليص الإنسان منها، فكان بذلك مفكرا ومربيا ومصلحا اجتماعيا، كما برز في الحضارة الغربية المفكر والفيلسوف أمانويل كانط الذي ارتبط اسمه بأخلاق الواجب؛ من هنا رأت الباحثة تناول هذين العالمين باعتبار أن كل واحد منهما ينتمي إلى مدرسة تمثل الأخلاق في عصرين مختلفين والمقارنة بينهما في ذلك.، في ضوء ما سبق يمكن تحديد موضوع الدراسة في الأسئلة التالية :

- **أسئلة الدّراسَة**:
  - ما مفهوم الأخلاق عند كل من الغزالي وكانط ؟
  - ما العوامل التي أثرت على مفهوم الأخلاق عند الغزالي وكانط؟
  - ما أوجه الشبه والاختلاف بين مفهوم الاخلاق عند الغزالي وكانط؟
  - ما التطبيقات التربوية المستفادة من مفهوم الأخلاق عند الغزالي وكانط؟
- **أهداف الدِّراسَة**:
  - التعرف على مفهوم الأخلاق عند كل من الغزالي وكانط.
  - معرفة العوامل التي أثرت على مفهوم الأخلاق عند الغزالي وكانط.
  - تحديد أوجه الشبه والاختلاف بين مفهوم الأخلاق عند الغزالي وكانط.
  - عرض التطبيقات التربوية المستفادة من مفهوم الأخلاق عند الغزالي وكانط.
- **أهمية الدِّراسَة**:
- **أولا: الأهمية النظرية**:
  - تأتي أهمية الدراسة من أهمية موضوعها والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، ومن المتوقع أن تفيد الباحثين في التعرف على نظرية الأخلاق التي دعا إليها الإمام الغزالي، وظهرت في شخصيته، ومؤلفاته، بحيث تكون مرجعا سابقا لهم في موضوع التربية الأخلاقية.
  - مقارنة مفهوم الاخلاق عند الغزالي بأحد المنظرين الغربيين وهو أيمانويل كانط.
  - قد تكون الأولى من نوعها، وبالتالي ستضيف للمكتبة العربية بأدب نظري يتعلق بتصورات الغزالي حول التربية الأخلاقية، ومقارنتها بإحدى النظريات الأخلاقية الغربية (نظرية الواجب) لإيمانويل كانط .
- **ثانيا: الأهمية العملية**:
  - تقديم نموذج واقعي للشخصية الإسلامية، وما ينبغي أن تكون عليه، مما يفيد المؤسسات التربوية في أخذ العديد من تلك الجوانب والاستفادة منها في تربية الأفراد.
  - القاء الضوء على أهم التطبيقات التربوية لمفهوم الاخلاق عند الغزالي؛ وعليه يمكن أن يستفيد منها التربويون ومخططو المناهج الدراسية.
- **حدود الدِّراسَة**:

الحدود الموضوعية: تقتصر الدراسة على دراسة الأخلاق من حيث (مصدر الأخلاق، الفعل الأخلاقي، غاية الأخلاق) عند الغزالي وكانط.

- **مصطلحات الدِّراسَة**:
- **الأخلاق**:
- **الأخلاق في اللغة**:

ورد في القاموس المحيط للفيروزآبادي (٢٠٠٨م، ص٨٨١) : "الأخلاق جمع خلق، والخُلق - بضمِّ اللام وسكونها - هو الدِّين والطبع والسجية والمروءة، وحقيقته أن

صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها".

• **الأخلاق في الاصطلاح**:

عرَّف الجرجاني (٢٠١٢م، ص١٠١) الخلق بأنَّه: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويَّة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقا سيئًا".

• **تعريف الأخلاق عند الغزالي**:

تعريف الأخلاق عند الغزالي أشار إليها في كتابه إحياء علوم الدين (د.ت، ص٤٦) "فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا".

• **تعريف الأخلاق عند كانط**:

يشير كانط (٢٠٠٢م، ص٥١) إلى أن الأفعال الإنسانية لا تكون خيرًا إلا إذا صدرت عن واجب، لا عن ميل مباشر أو رغبة في تحقيق مصلحة شخصية، ويعرّف كانط الواجب بأنه: "ضرورة القيام بفعل عن احترام للقانون".

• **منهج الدِّراسَة**:

استخدمت الباحثة المنهج المقارن وقد اعتمدت على كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي، وكتاب "تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق" لكانط كمصادر أساسية، من خلال مدخل جورج بيريداي في الدراسات التربوية المقارنة، وذلك لوصف مفهوم الأخلاق عند الغزالي وكانط، وتحديد أوجه الشبه والاختلاف بينهما، والذي أشار إليه خليل (٢٠٠٩م، ص٩٥) بأنه: "يركز على الجمع الدقيق والمنظم للمعلومات والبيانات التربوية المتشابهة، ثم تصنيف تلك المعلومات والبيانات وتبويبها من خلال مناظرتها بعناية، والتوصل إلى فروض من هذه المناظرة، وفي الخطوة الأخيرة تجرى عملية المقارنة لتأكد من صحة الفروض".

ويمكن توضيح خطوات مدخل بيريداي في هذه الدراسة على النحو التالي:

- الوصف وتتضمن تجميع البيانات والمعلومات التربوية الوصفية من الكتاب والأبحاث والدراسات التي تناولت الأخلاق عند الغزالي وعند كانط.
- التفسير ويقصد بهذه الخطوة تحليل وتقييم المعلومات التي تم الحصول عليها لموضوع الدِّراسَة من خلال القوى والعوامل التي أثرت على مفهوم الأخلاق عند الغزالي وعند كانط.
- المقابلة أو المناظرة: وتتضمن هذه الخطوة مقابلة العناصر المختارة من مفهوم الأخلاق (مصدر الأخلاق، غاية الأخلاق، الفعل الأخلاقي) عند كلا العالمين والقوى والعوامل المؤثرة في مفهومهما عن طريق وضع بعضها بجوار بعض، وذلك بقصد تحديد نقاط التشابه والاختلاف.

◄◄ المقارنة: في ضوء الحقائق التي تم الحصول عليها وتفسيرات هذه الحقائق، ثم ترتيب كل هذا بحيث تتقابل الحقائق التي اعتمد عليها كل علم في مفهومه للأخلاق، تقوم الباحثة في هذه المرحلة بإبراز ما يتم التوصل إليه من نتائج ووضع التطبيقات التربوية المناسبة.

كما استخدمت الباحثة بالإضافة للمنهج المقارن المنهج الوصفي التحليلي في تحليل آراء كل من الغزالي وكانط، وتحليل ماكتب عنهم من آراء الكتاب والباحثين .

- **محاور البحث**

يدور البحث حول المحاور التالية:

- **أولاً: مفهوم الأخلاق عند الغزالي** :

لمناقشة مفهوم الأخلاق عند الغزالي يجدر الإشارة الى نسبه واسمه والبيئة والظروف التي نشأ فيها وساهمت في تشكيل فكره

- **اسمه ونسبه**:

أورد الذهبي (١٤١٧هـ، ج١٩، ص٣٢٣) اسم الغزالي: "هو الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط، تفقه ببلده أولا، ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة، فلازم إمام الحرمين، فبرع في الفقه في مدة قريبة، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عين المناظرين، صاحب التصانيف العديدة".

وتضيف بدرية الميمان (٢٠١٠م، ص٢٠٥) إلى أن الغزالي ولد في مدينة طوس من مدن خراسان عام (٤٥٠هـ) وتوفي والده قبل أن يبلغ سن الرشد، فنشأ معتمدا على نفسه مندفعا إلى طلب العلم والتبحر فيه بدافع الغريزة الفطرية الكامنة في تلك النفس الكبيرة، فتلقى مبادئ الفقه والعربية في بلده، وانتقل إلى جرجان فقرأ مبادئ الأصول على أحد أعلامها وعاد إلى طوس، ولم يمكث طويلا في بلدته بعد عودته من جرجان، فقام برحلته العلمية التي أرشدته إلى العلم الصحيح، وأذاعت شهرته في الخافقين فقصد نيسابور حيث لازم إمام الحرمين الجويني مدة ثم انتقل إلى العراق وقد سبقه اسمه إلى تلك الآفاق، فاتصل بالوزير نظام الملك ففوض إليه التدريس في مدرسته النظامية ببغداد سنة ٤٨٤هـ، فأقام يبث العلم ويصنف الكتب مدة أربع سنين أصابه على أثرها مرض اضطره إلى مفارقة العراق فرحل إلى الحجاز حاجا، ثم أتى الشام فأقام في القدس نحو سنتين ورحل إلى الديار المصرية فنزل بالإسكندرية وعاد إلى ملازمة بيته بطوس حتى مات سنة ٥٠٥هـ ودفن بمقبرة بظاهر طوس.

- **مصدر الأخلاق عند الغزالي**:

مصدر الأخلاق عند الغزالي أشار إليها في كتابه إحياء علوم الدين (د.ت، ج٣، ص٥٦) "هيئة راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر

وروية، فإذا كانت الصادرة عنها الأفعال قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا".

واعتمد أبو حامد القرآن معيارا ليحتكم إليه الفرد في رسم صفات الخلق الحسن وصفات الخلق السيئ.

وقد أشار خزعلي (٢٠٠٥م، ص٢٥) إلى أن الأخلاق ترتبط عند الغزالي بالدين ارتباطا قويا ومتينا، فالدين عنده أساس الأخلاق وهي غايته وهدفه، وبما أن أخلاق الإنسان تترجم بسلوكه وأفعاله المختلفة والتي تصدر بفعل من بواعث ودوافع نفسية داخلية كامنة في باطن النفس الإنسانية ومن خلال تحليله لهذه النفس بهدف الكشف عن دوافع الخير وبواعث الشر فيها؛ وجد الغزالي أن الدين هو الوسيلة الفضلى في تعديل هذه البواعث والدوافع وترتيبها وتنميتها بشكل تتسق به مع فروض العبادات والشعائر الدينية، لذا فهو في ضوء دراسته للفروض واستعراضه للعبادات والشعائر الدينية ركز على مدلولاتها النفسية الباطنية أكثر من مظاهرها الخارجية، فالدين في رأيه رياضة نفسية تستهدف ترويض النفس بمدى تعلقها بالبدن .

ويضيف سالم (٢٠١٦م، ص٢٦٤) أن الأخلاق عند الغزالي راسخة في نفس الإنسان وتصدر عنها الأخلاق الفاضلة بسهولة ويسر، ولا تحتاج إلى تفكير أو تأني، وإذا صدرت الأخلاق المحمودة والمتفقة مع العقل والشرع تسمى خلقا حسنا، أما إذا كانت غير ذلك فستكون خلقا سيئا.

و مصدر الأفعال عند الغزالي كما يذكر سالم (٢٠١٦م، ص٢٦٢) هو القلب، أما الجوارح هي التي تقوم بالأفعال، ولا يمكن الحكم عليها إلا بعد تطبيقها عمليا.

وذكر خزعلي (٢٠٠٥م، ص٢٧) أن الغزالي لم يحاول بحث الفضائل بشكلها المطلق ولا عني بها من حيث هي مبادئ وإنما مال إلى معالجتها بصفتها التطبيقية من جهة ارتباطها بالتعليم الديني على الرغم من اهتمامه بنظرية الأوساط لدى أرسطو، فالفضيلة عنده ممارسة تؤدي إلى تزكية النفس باعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزكية العاقلة حتى إذا صار ذلك مألوفا بالتكرار وبزمن متقارب تشكلت منها ملكة راسخة في النفس.

ويشير سالم (٢٠١٦م، ص٢٥٩) إلى كيفية معرفة الأخلاق عند الغزالي فهي ما يمكن إدراكها بالباطن، وليس بالحواس الخمس، فالحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ يقال هذا خلق حسن، وهذا علم حسن، وهذه سيرة حسنة، وهذه أخلاق جميلة.

ولذلك يقول الغزالي (د.ت، ج٣، ص٥٦): "وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال وإما لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث وإما لرياء، وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى

الإمساك والإعطاء بل إلى الضدين واحدة، وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الإعطاء والإمساك، وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء، وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد، بل هو عبارة عن المعنى الرابع، وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل، فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة".

- **الفعل الأخلاقي عند الغزالي**:

يحدد الغزالي أربعة شروط للفعل الأخلاقي ذكرها في كتابه الإحياء (د.ت، ج٣، ص٤٦) "الأول: فعل الجميل والقبيح، والثاني: القدرة عليهما، والثالث: المعرفة بهما، والرابع: هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبي ويتيسر عليها أحد الأمرين.

فهذه الشروط الأربعة التي حددها الغزالي تعتبر دقيقة وواضحة المعنى والمقصد:

- إمكانية فعل النقيضين (الجميل والقبيح) الخير والشر، أي توفر الفعلين معا، الحسن والسيئ.
- الاستطاعة والقدرة على الفعل، بمعنى توفر الحرية والإرادة إلى الفعل.
- الإدراك والمعرفة للفعل الصادر عن النفس، أي توفر العقل والتمييز بين الأفعال
- تهيؤ النفس، وميلها إلى أحد الفعلين الحسن أو السيئ، وهذا ما يسمى بالضمير الأخلاقي.

وتشير آمنة الزائدي (٢٠١٩م، ص٣١٥) أن هذه الشروط الأربعة للفعل الأخلاقي عند الغزالي لابد أن تكون متلازمة ومتكاملة.

وتؤكد فوزية مراد (٢٠١٤م، ص٢٠٦) على أن الغزالي يرى أن الفضائل الرئيسة الأربعة: الحكمة والشجاعة والعفة، والعدل، وهذه الأربعة لابد أن تتوفر في كل كائن أخلاقي، والفضيلة لابد أن تكون "حدا وسطا بين حدين متقابلين"، فالشجاعة تمثل فضيلة النفس الغضبية ، والعفة تمثل فضيلة النفس الشهوانية والحكمة هي فضيلة النفس الناطقة، أما العدل فهو فضيلة تحدث للنفس من اجتماع هذه الفضائل.

ويضيف سالم (٢٠١٦م، ص٢٦٤) أن الغزالي قسم النفس البشرية إلى ثلاثة أنواع هي: النفس العاقلة، والنفس الغضبية والنفس الشهوانية، ويؤكد على أن العدل يقوم على أساس التوازن بين هذه القوى الثلاث، فالشجاعة تمثل فضيلة النفس الغضبية، والعفة تمثل فضيلة النفس الشهوانية والحكمة هي فضيلة النفس الناطقة، أما العدل فهو فضيلة تحدث للنفس من اجتماع هذه الفضائل وهذه الأربعة لابد أن تتوفر في كل كائن أخلاقي.

وبذلك يكون مرجع الأخلاق الحسنة عند الغزالي إلى النفس، من خلال اعتدالها، وتوازن وظائفها وصفائها، ويحدد أربعة أركان، وهي قوى النفس لتتحقق الفضائل، بشرط تناسب واعتدال واستواء تلك الأركان وهي:

- قوة العلم، قوة الغضب، قوة الشهوة، قوة العدل.
- ويربط بين هذه القوى أو الأركان كما سماها، وبين أصول الفضائل وهي:
- الحكمة، الشجاعة، العفة، العدل.

ويجعل الغزالي الفضيلة كوسط بين طرفين، ويستمد ذلك من مصدرين هما: لا إفراط ولا تفريط حسب وسطية الإسلام، وخير الأمور أوسطها حسب فلاسفة اليونان وخاصة أرسطو.

وتؤكد فوزية مراد (٢٠١٤م، ص٢٠٩) أن الغزالي اهتم بالناحية العملية من الأخلاق اهتماما بالغا إذ هي في نظره لا تقتصر على اتباع سلوك فاضل، بل إنها تمثل فعلا خلقيا حقيقيا قابلا للتغيير فالأخلاق السيئة قد تصبح في يوم ما أخلاقا حسنة عن طريق التربية، أو بمصاحبة أناس فاضلين، فإذا كانت الحيوانات يمكن أن تغير من سلوكها، فما بال الإنسان الذي وهبه الله العقل والإرادة؛ لذلك يعترض الغزالي على الأقوال والآراء التي تزعم أن الأخلاق لا تتغير.

كما يؤكد سالم (٢٠١٦م، ص٢٦٥) أن الأخلاق عند الغزالي مكتسبة وقابلة للتغيير، عن طريق التربية، أو بمصاحبة أناس فاضلين.

- **غاية الأخلاق عند الغزالي**:

اهتم الغزالي بدراسة الأخلاق اهتماما كبيرا في العديد من كتبه، وبالأخص إحياء علوم الدين، وقد كان لا ينظر للأخلاق على أنها مجرد اتباع سلوك فاضل أو اجتناب سلوك رديء بل لابد أن تكون حقيقية تصدر عن كائن أخلاقي، تمثل عملا وفعلا خلقيا في الوقت ذاته.

وغاية الأخلاق عند الغزالي التي ذكرها الغزالي (د.ت، ج٣، ص١٩) هي "السعادة الأخروية ليصل في الأخرة إلى السعادة المنشودة متنعما بالنظر الى الله تعالى".

فالسعادة الحقيقية هي الأخروية، وهذا دليل كما أشار خزعلي (٢٠٠٥م، ص٢٨) بأنه لا يضع الأخلاق في غاية نفعية ولا اجتماعية فعنده مثلا الذي يسعف مريضا أو يغيث ملهوفا أو يأسر جريحا لا يهمه شفاء المريض ولا إغاثة الملهوف ولا إبراء الجريح ما دامت نيته خلصت في عمله ووثق بجزاء الآخرة فالسعادة الحقيقية لا تكمن في الملذات المحسوسة وإنما في وصول المرء إلى كماله الخاص به وهي إدراك الأمور على ما هي عليه واضحة جلية في معرفة الحقائق الإلهية وهو نوع من السعادة تندر في الحياة الدنيا ويتم في الحياة الآخرة لمن أعد لها نفسه.

وقد أشارت فوزية مراد (٢٠١٤م، ص٢٠٦) إلى أن غاية الفعل الأخلاقي عند الغزالي تتمثل في اكتساب الفضيلة التي هي الغاية المرجوة للسلوك الأخلاقي، والنفس البشرية تحوي ثلاثة أنواع هي: النفس العاقلة، والنفس الغضبية، والنفس الشهوانية، ويؤكد على أن العدل يقوم على أساس التوازن بين هذه القوى الثلاث.

• **ثانياً: مفهوم الأخلاق عند كانط:**

يمكن التعرف على مفهوم الأخلاق عند كانط من خلال مناقشة الموضوعات التالية:

• **مولده وحياته:**

أشارت منهاوي سهير (٢٠١٦م، ص٥) ولد أمانويل كانط في مدينة كونيجزبرج في بروسيا الشرقية في اليوم الثاني والعشرين من شهر أبريل عام١٧٢٤م وكان الابن الرابع لتسعة أطفال، مات ثلاثة منهم وهم أطفال وماتت أمه وهو في الثالثة عشر من عمره، وكان والده يعمل سراجا وتوفي عندما كان كانط في الثانية والعشرين، وقضى كانط طفولته في حارة السراجين في كونيجزبرج حيث نما في محيط قوي متشدد.

وتضيف منهاوي سهير (٢٠١٦م، ص٩) توفي الفيلسوف إيمانويل كانط في ١٢ فبراير ١٨٠٤م في العام الذي أعلن فيه نابليون إمبراطورية فرنسا ولذلك لن يشهد هذا الفيلسوف الألمان تلك الحروب البونابرتية، التي ستضرب أعماق القارة الأوربية وصولا إلى روسيا.

• **أخلاق الواجب ومصدر الأخلاق عند كانط:**

ارتبطت أخلاق الواجب بالفيلسوف (إيمانويل كانط)، حيث صاغ قوانين للأخلاق، وحدد نقطة انطلاقه لهذه الفلسفة أو هذه النظرية الأخلاقية كما أشار إليها كانط (٢٠٠٢م، ص٤٣ - ٤٦) كان من خلال مفهوم آخر هو مفهوم "الإرادة الخيّرة" التي تعد بمنزلة الدعامة الأساسية لِكل سلوك أخلاقي، فالإرادة الخيرة هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يعد خيرا في ذاته، ليس لما يترتب عليها من نتائج، هي خيّرة لأنها تعمل بمقتضى الواجب دون النظر إلى النتائج، بمعنى أنها تستمد خيريتها من باطن ذاتها بوصفها الشرط الضروري الكامن لكل أخلاقية.

ويشير حيدر (٢٠١٧م، ص٣٢٥) العامل الحاسم في نظرية كانط الأخلاقية هو أن تكون الإرادة إرادة خير، لا أن تكون نتائج الأفعال خيرا، هنا يميز كانط نفسه من فلاسفة مذهب المنفعة الذين دافعوا عن أخلاق النتائج، قائلين إن الأفعال الأخلاقية هي تلك التي تؤدي إلى أعظم منفعة (السعادة، اللذة) لأكبر عدد من البشر، وفضلاً عن ذلك، فإنِ أخلاق كانط هي أخلاق الواجب، فقد رأى أن اختبار إرادتنا الأخلاقية يكون أولاً حين نقوم بعمل على الرغم من إرادتنا، مدفوعين بحسنا بالواجب الأخلاقي، ولا يعني هذا أن كانط يدافع عن الشقاء والألم، وإنما يبين عن مدى ابتعاده عن جميع أشكال الأخلاق القائمة على اللذة (مذهب اللذة)، وهكذا، فإن هذا الأمر الأخلاقي اللا شرطي "ينبغي عليك" هو فينا فطري تماما، وهذا يعني أن جميع البشر خاضعون لهذا الواجب الأخلاقي؛ لِذا فإن الأخلاق مبدأ مطلق عند كانط، وبكلماتٍ أخرى، لقد بنى كانط أخلاقاً مطلقة على الذات، بينما بناها أفلاطون على المثل " الموضوعية".

ويشير جيدوري (٢٠١١م، ص٤٥٦) تتضح مثالية (كانط) بمعناها الواسع في وضع مثل عليا يسير بمقتضاها السلوك الإنساني، أو إقامة مبادئ عامة تُستخدم

أساساً للقواعد العملية التي يتطلبها السلوك الشخصي، أما مثالية كانط بمعناها الضيق فهي الاتجاه الذي يجعل الأخلاق غاية في ذاتها، وفي معرض رفضه رد الواجب أو الإلزام الخلقي إلى سلطات خارجية أو ميول طبيعية.

- **تعريف الواجب**:

يعرّف كانط (٢٠٠٢م، ص٥١) الواجب بأنه:" ضرورة القيام بفعل عن احترام للقانون".

فالواجب لا يستند إلى العاطفة أو الوجدان، كما أنه لا يقوم على التجربة سواء خارجية أو باطنية، بل هو يقوم على احترام القانون، أي يجب أن نفعل الفعل الأخلاقي لأنه واجب في اتصال مباشر بين الإرادة والأمر الأخلاقي بدون الالتفات إلى النتائج فليست هي من يؤسس قيمة الأخلاق.

- **الفعل الأخلاقي عند كانط**:

يشير نايجل واربرتون (٢٠١٨م، ص١٢٢) إلى أن الفعل الأخلاقي لدى كانط هو الفعل النابع من الإحساس بالواجب، لا من رغبة أو ميل أو عاطفة أو منفعة، فمثلا إذا تصدقت بالمال رياءً على أصدقائي، فلن يكون هذا الفعل فعلا أخلاقيا، بل كان لمرآة الناس واكتساب المكانة الاجتماعية.

يقول كانط كما أشار بدوي (١٩٧٦م، ص١٣٠): "إن الواجب هو نوع من القسر الذي يمارسه الإنسان ضد ميوله الطبيعية في سبيل تحقيق غاية أخلاقية".

وهو بذلك يذهب إلى حد استبعاد صفة الأخلاقية عن الفعل الذي ينجز عن ميل، وإن كان لا يستبعد الفِعل المنجِز مع ميل، وبعبارة أخرى أن الفعل إذا كان دافعه هو الميل فهو ليس فعلا أخلاقيا بحسب كانط.

- **غاية الأخلاق ومبادئ الواجب عند " كانط"**:

انطلقت قوانين ومبادئ الواجب الأخلاقي عند كانط من كونها أوامر مطلقة وليست مشروطة؛ لأن الفعل في الأوامر المشروطة تكون قيمته مرتبطة بالنتيجة المترتبة على ذلك الفعل، بعكس الأمر المطلق الذي يأخذ قيمته من ذاته وليس من النتائج التي يؤديها، ويؤكد على نية السلوك عن شعور بالواجب والحاجة إلى نقية طاهرة كاملة بدون أي غايات بالبحث في العقل دون التجربة من خلال عملية تصور نظري للعملية، حين ذلك سنجد هذه النية وهي القيام بفعل عن شعور بالواجب، وأن الفرد يمكن أن يستخدم العقل لأداء ما هو واجب.

المبدأ الأول: انطلق كانط (٢٠٠٢م، ص٩١ - ٩٣) من الأوامر المطلقة، فأوامر الواجب لابد أن تكون مطلقة، بحيث يتوجب علينا أن نفعل الفعل أو أن نتصرف وفقا لقانون عام، ووفقا لمبدأ صالح للإنسان كإنسان عاقل. وهذا ما أشار إليه كانط (٢٠٠٢م، ص٩٣) بقوله:" لا تفعل الفعل إلا بما يتفق مع المسلمة التي تمكنك في نفس الوقت من أن تريد لها أن تصبح قانونا عاما". أي كيفية تحويل الإرادة الفردية إلى إرادة عامة، افعل الفعل بحيث يصبح قانونًا عامًا، فإذا حدث تناقض يكون الفعل غير أخلاقي، وإذا لم يحدث تناقض فيكون الفعل أخلاقي.

المبدأ الثاني: يحدد كانط (٢٠٠٢م، ص١٠٨) قاعدة أو مبدأ ما أسماه بـ(الغاية) بقوله: "افعل الفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي شخص كل إنسان سواك بوصفها دائمًا وفي نفس الوقت غاية في ذاتها، ولا تعاملها أبدا كما لو كانت مجرد وسيلة".

أي أن الإنسان غاية في ذاته وهو يعني أن يتعامل مع الإنسان دائما على أنه غاية في ذاته وليس وسيلة، وهذا يسميه (كانط) باحترام أو تعامل مع مملكة الغايات، فالبشر هم الكائنات الوحيدة الذين يعيشون من خلال الغايات وذلك من خلال القيم، وهذه تعتبر جوهرة سحرية ثمينة جدا في داخل الإنسان، ومن الغير الأخلاقي تجاوزها أو تجنبها، بمعنى أن تتعامل معه دون أن تعترف بأنه غاية في ذاته وبالتالي يصبح تعاملك معه وسيلة وليست غاية، وعالم الوسائل هو عالم غير إنساني.

المبدأ الثالث: استخلص كانط (٢٠٠٢م، ص١١٢) من المبدئين السابقين مبدأ ثالث بوصفه الشرط الأعلى لموافقته للعقل العملي العام، وهو مبدأ "الإرادة" وكيف يتحول الإنسان إلى مُشرِّع للقانون الأخلاقي وليس فقط مطبقا له.

وذلك من أجل ألا يشعر الإنسان أن القانون الأخلاقي مفروض عليه من الخارج، بل هو المشرِّع لهذا القانون، والذي يفترض أن يصل كل الناس إلى نفس هذا القانون الأخلاقي بإرادة الشخص بشكل خاص تنبثق من داخله، وبالتالي يتحقق ما عبر عنه كانط بالخضوع مع الكرامة في نفس الوقت، بمعنى أن تخضع لقانون أخلاقي وفي نفس الوقت تشعر بالكرامة والعزة لأنك أنت واضع هذا القانون ومشرِّع له.

- **أقسام الواجبات الأخلاقية**:

يقسم كانط(٢٠٠٢م، ص٩٤) الواجبات الأخلاقية إلى:

- واجبات كاملة نحو الذّات: أي يمكن تحقيقها نحو الذات بشكل كامل: مثل الانتحار، حينما نقول (لا للانتحار) فعندما نقول يجب على الإنسان ألا ينتحر يستطيع كل شخص من الأحياء أن يقول نعم حققت هذا الواجب بشكل كامل لأنني حي ولم انتحر.
- واجبات كاملة نحو الغير: أي يمكن تحقيقها نحو الآخرين بشكل كامل، مثل: الوعود للآخرين، عندما تعطي الآخر وعدا، إما أن يكون الوعد صادقا أو يكون كاذبا، ويمكن قياسها بشكل واضح ومباشر وكامل، فإذا التزمت بالوعد تكون حققت الواجب الأخلاقي تجاه الآخر بشكل كامل، وإذا لم تلتزم بالوعد (وعد كاذب) فإنك لم تحقق هذا الواجب الأخلاقي تجاه الآخر.
- واجبات ناقصة نحو الذّات، وهي الواجبات التي يصعب تحقيقها بشكل كامل لكن يمكن تحقيقها بشكل جزئي، مثل: مواهب الإنسان، فكل إنسان عليه واجب تجاه ذاته أن يرعى مواهبه وإمكاناته وأن يطورها قدر الإمكان، لكن هذا الواجب لا يمكن الحكم عليه أنه تحقق بشكل كامل لأن إمكانيات الشخص مفتوحة على مستقبله؛ وبالتالي لا يعرف متى يكتمل تحقيقها، كما أن هذه القدرات

والمواهب يصعب قياسها، فمن الصعب جدا أن يقول إنسان أني قمت بتطوير مهاراته أو رعايتها بالقدر الكامل بدون أي نقص أو أي ملاحظات فهذا واجب لايمكن أن يكتمل، لكن سيسعى الإنسان ويحاول أن يحققه يوميا وباستمرار.

- واجبات ناقصة نحو الغير، وهو ما اسماه كانط فعل الخير أي مساعدة الآخرين أو إسعاد الآخرين فهذه مهمة لا يمكن أن تتحقق بشكل كامل، لأنك ستساعد شخص أو شخصين أو ثلاثة أو أربعة لكن لن تسعد الآخرين بشكل كامل، فهو واجب لا يمكن أن يكتمل لكنها تحققت بشكل جزئي.

- **ثالثا: العوامل المؤثرة في مفهوم الأخلاق عند الغزالي وكانط:**
- **العوامل المؤثرة في مفهوم الأخلاق عند الغزالي: من أهم هذه العوامل ما يلي :**
- **حياة الغزالي:**

أشارت بدرية الميمان (٢٠١٠م، ص٢٠٦) إلى أن حياة الغزالي تتلخص في ثلاثة مراحل:

- الأولى: تجنح نحو دراسة الدين وعلوم الشريعة، وكانت على مراحل المرحلة الأول بطوس، والثانية في جرجان، والثالثة في نيسابور على يد الجويني، ولقد اكتملت في المرحلة الثالثة معالم شخصية الغزالي التي اتسمت باتجاهات فكرية خاصة به في شتى العلوم سواء الدينية أو الدنيوية منها، ولقد كانت مرحلة ما بعد وفاة الجويني ٤٧٨ه متميزة عن غيرها بسبب استغراق الغزالي في التعلم الذاتي والبحث المضني عن الحقيقة، إلى جانب إقباله في نهاية المطاف على علوم الحديث.
- الثانية: تميل نحو الفلسفة والمنطق ومشتقاتهما وقد ورد عنه أنه أخذ علوم الفلسفة من دون شيخ فقد صرح بذلك في كتابه "المنقذ من الضلال".
- الثالثة: مرحلة التأمل والزهد والورع، حيث قرأ في التصوف على الإمام الفارمدي الطوسي، وطالع كتب أبي طالب المكي، والحارث المحاسبي، والجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغيرهم، وفي خلال المرحلة الثالثة لبس الغزالي الخشن من الثياب وأكل الحاف من العيش، وأكثر من التجوال للمشاهدة والعبرة والتأمل، وقد قطع الغزالي شوطا كبيرا في هذا المضمار، ثم عاد بعدها إلى بغداد وعقد مجلس الوعظ حيث أقام جانب داره مدرسة للفقهاء ومحلا للصوفية ووزع أوقاته على وظائف؛ ختم القرآن ومجالسة أرباب القلوب، والتدريس لطلبة العلم، وإدامة الصيام والصلاة وسائر العبادات إلى أن وافته المنية.

وتضيف بدرية الميمان (٢٠١٠م، ص٢٠٧) لقد كان الغزالي رحمه الله علم من أعلام الفكر الإنساني الذين بلغوا في حياتهم ومهاتهم مكانة رفيعة ونسبت إليه جلائل الأعمال، ويعد الغزالي من أشهر الفلاسفة المسلمين، ومن أكثرهم تأثيرا في الفكر الإسلامي عامة وفي التصوف الإسلامي خاصة، وهو دائرة معارف فلسفية، وهو من أشهر أعلام القرن الخامس الذي تميز بكثير من المتناقضات، وازدحم بالأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية، مما كان له أكبر الأثر في حياة الغزالي ونتاجه الفكري حيث شهد القرن الخامس الهجري ضعف وانحلال

الخلافة العباسية وضعف كيان الدولة السياسي بكثرة الأفكار والآراء ونزاع الفرق والطوائف المتعددة وابعادها عن الكتاب والسنة، وتركت هذه الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية بصماتها واضحة على دراسة الغزالي وفكره وآراءه، وانطلاقا من ذلك يمكن القول أن الغزالي تأثر بمصادر ثلاثة وهي: الشريعة الإسلامية، والتصوف، والفلسفة؛ لذلك تميز النتاج الفكري لأبي حامد الغزالي بالاتساع والتنوع "وقد ترك الغزالي ما يزيد على سبعين مؤلفا في فروع كثيرة من المعرفة منها الفقه، والفلسفة، والمنطق والتربية .... أكثرها في الفقه والمناظرة والرد على الفلاسفة والدفاع عن الدين ، ومن أشهر كتبه ومؤلفاته: "المنقذ من الضلال"، "إحياء علوم الدين" ، "فاتحة العلوم" ، "ايها الولد" ، "والرسالة اللدنية" ، "تهافت الفلاسفة"، "مقاصد الفلاسفة" ، "كيمياء السعادة"، "ميزان العمل" .

إذن: تتلخص حياة الغزالي في ثلاثة مراحل:

- الأولى : دراسة الدين وعلوم الشريعة، وكانت على مراحل المرحلة الأول بطوس، والثانية في جرجان، والثالثة في نيسابور على يد الجويني
- الثانية : تميل نحو الفلسفة والمنطق ومشتقاتهما.
- الثالثة : مرحلة التأمل والزهد والورع.

• **العوامل المؤثرة في مفهوم الأخلاق عند كانط**:

أشار وليم كلي رايت (٢٠١٠م، ص٢٥٥) إلى أن تطور كانط الفكري يقع في ثلاث مراحل، المرحلة الأولى كان مثل معظم الفلاسفة الألمان في عصره فيلسوفا عقليا ، تحت تأثير " ليبنتز"، و" فولف" إلى حد ما، وكان يظن أنه من الممكن الوصول إلى حقائق بعيدة عن طريق التفكير العقلي المستقل عن البراهين التجريبية، ومع ذلك تظهر مقالاته - حتى في تلك السنوات – علامات الأصالة وعدم الرضى عن المذهب العقلي.

المرحلة الثانية تبدأ تقريبا في عام (١٧٦٥م)، والتي تأثر فيها إلى حد ما بالفلاسفة التجريبيين البريطانيين، حيث تأثر بـ" هيوم" ومقالاته، وقرأ الكثير من فكر فلاسفة الأخلاق البريطانيين، وبخاصة (شافتسيري، وهاتشيسون، وهيوم)، كما استطاع أن يصل إلى معرفة فكرهم باللغة الألمانية، وعندما انجذب في البداية إلى المذهب التجريبي الأخلاقي، لم يستطع أن يكتشف فيه مبادئ يمكن الاعتماد عليها بصورة مطلقة مثل مبادئ الرياضيات، فقد وجد نفسه عاجزا عن أن يقبل تلك المبادئ الذاتية والتي لا يمكن الوثوق بها بوصفها أساسا للأخلاق، مثل الحاسة الخلقية، والتعاطف، واللذة، والمنفعة، وحين سلم بقدر محدود جدا من الحقيقة بمنازعات فلاسفة الأخلاق البريطانيين، انتهى إلى الاعتقاد بأن المبادئ الأساسية للأخلاق تكمن في الحقيقة داخل العقل، من أجل ذلك سيقال عنه إنه كان فيلسوفا عقليا صارما في الأخلاق، أصبح كانط، في أثناء تلك المرحلة، أو بعد ذلك، قارئا متحمسا "لروسو"، الذي يدين لتأثيره تعاطفه مع عامة الناس، واحترامه لحق كل إنسان في أن يعامل بوصفه غاية في ذاته، وتفضيله الجمهورية الديموقراطية على نظام الحكومة الملكية.

أما المرحلة الثالثة والأخيرة التي تسمى في الغالب " المرحلة النقدية" فهي التي ستكون وحدها ذات أهمية عالمية، هذه المرحلة لم تبدأ إلا بعد عام ١٧٧٠ بمدةٍ طويلةٍ، وهو العام الذي ألقى فيه " بحثه الافتتاحي" في بداية عمله أستاذاً جامعياً، وفي عام ١٧٨١ تطور في ذهنه، بالتدريج، موقفه النهائي، وهو التأليف بين المذهب العقلي والمذهب التجريبي، والذي أطلق عليه اسم" الفلسفة النقدية" في كتاب (نقد العقل الخالص) (١٧٨١م) كيف تكون المعرفة الفعلية ممكنة، وخاصة في الرياضيات، والفيزياء والميتافيزيقا. وفي كتاب (نقد العقل العملي) (١٧٨٨م) ما ينبغي علينا أن نفعله في مجال الأخلاق، وما قد نأمله في الدين بوصفه مسألة من مسائل الإيمان، أما كتاب (نقدٍ ملكة الحكم) (١٧٩٠م) فيتضمن آراء كانط في الإستيطيقا والبيولوجيا، وبحثاً في نظائر الإيمان بعالم روحي تقدمه الطبيعة، والفن، والحياة العضوية. وهذه الكتب الثلاثة التي تحمل عنوان (نقد) هي أكثر كتب كانط أهمية، في حين أن كتابه (المبادئ الأساسية لميتافيزيقا الأخلاق) (١٧٨٥م) هو مدخل جيد لفلسفته الأخلاقية.

- **السمات المميزة لحياة كانط**

يمكن أن نلخص الوقائع الخاصة بحياة كانط كما أشار حيدر (٢٠١٧م، ص٣١٧) إليها، والتي تخلو من الأحداث المهمة بصورة نسبية وتلقي ضوءا على روح فلسفته من خلال السمات المميزة التالية:

- إعطاء التدريب المبكر الذي تلقاه في المنزل اهتماماً مستمراً بالدين، على الرغم من أنه كره في السنوات الأخيرة الذهاب إلى الكنيسة، وأصبح غير مكترث بمعتقدات لاهوتية كثيرة، فإنه استمر في الاهتمام بالمشكلات الأساسية للدين التي يمكن للفيلسوف أن يمنحها عنايته واهتمامه الخاص، وهي المشكلات التي تخص الله، والحرية، والخلود.
- ثلاثة عوامل مرتبطة أعطته شعوراً شديداً بالواجب، وجعلته يشعر بأن الإلزام الخلقي ثابت ومطلق، وأول هذه العوامل، تربيته الصارمة في المنزل حين كان صغيرا، وثانيهما تركيبه الجسماني الضعيف، الذي أدى به إلى مراعاة نظام صارم للتغذية، وممارسة الرياضة، والتنزه، ونتيجة لذلك تمتع بصحة جيدة بصورة معقولة، حتى إنه استطاع أن يواصل الكِتابة حتى السنوات الأخيرة من حياته الطويلة، غير أنها تضمنت ضبطاً صارماً للنفس، أما العامل الثالث فهو مناخ النظام العسكري الذي تدرب فيه الموظفون المدنيون - وكان أستاذ الجامعة في واقع الأمر، موظفاً مدنياً - في بروسيا في عهد فردريك الأكبر وأتباعه.
- حبه الكبير للدقة الصورية في كل شؤون الحياة، وإعجاب كانط بالتفكير الدقيق في الرياضيات والفيزياء، واعتقاده أن المبادئ الكلية والضرورية واليقينية بصورة مطلقة هي وحدها التي تستحق أن ننظر إليها على أنها المعرفة العلمية، وهو لم يقدر، على الإطلاق، العلوم الاستقرائية ومع ذلك، فقد كان أمينًا للغاية في قدرته على إنكار أن هجمات لوك وهيوم المدمرة جعلت عقلانية القرن السابع عشر والثامن عشر لا يمكن الدفاع عنها، وكان لابد له

من تشييد أسس عقلانية جديدة كان يأمل أن تكون آمنة من الحملات الجائرة.

ويضيف حيدر (٢٠١٧م، ص٣١٨) إلى أن المؤثرات في تكوين كانط الفكري متعددة المصادر، ويذكر الباحثون في هذا المجال ثلاثة: دينية، وسياسية، وعلمية، من الناحية الدينية تربى كانط على التقاليد المسيحية المتشددة، وبالتحديد فرقة التقوية المسيحية الذي اشتق اسمها من التقوى والورع وهي حركة بروتستانتية تؤكد التقوى والزهد والبساطة والاهتمام بالطقوس والشعائر، أما من الناحية السياسية عاش كانط في عصر التنوير وأثر وتأثر بكل معطيات ذلك العصر، بطبيعة الحال كان من المطالبين من أجل حقوق الإنسان وأكد المساواة بين الناس وفي نفس الوقت دافع عن حكومة بلاده، وتأثر كانط في هذا الجانب تأثرا عميقا بالمفكر والسياسي الفرنسي جان جاك روسو، الذي كان يطرح في كتاباته تساؤلات عميقة عن طبيعة الأخلاق وطبيعة المجتمعات ومشكلة الأفراد وفلسفة الفردية، وأما في الناحية العلمية فقد درس كانط أعمال إسحاق نيوتن وكتاباته التي جعل منها أساسا لمحاضراته في الفيزياء وفلسفة الطبيعية.

- **رابعاً: أوجه الشبه والاختلاف بين مفهوم الأخلاق عند الغزالي وكانط وتفسيرهما:**

جوانب المقارنة	الغزالي	كانط
مصدر الأخلاق	– الأخلاق مرتبطة بالدين ارتباطا قويا ومتينا، ومعيار الخلق الحسن هو الصفات التي خص بها الله سبحانه وتعالى المؤمنين، ومعيار الخلق السيئ هو صفات المنافقين كما وردت في القرآن الكريم. – الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية. (فطرية وموروثة) – مصدر الأفعال هو القلب، أما الجوارح هي التي تقوم بالأفعال، ولا يمكن الحكم عليها إلا بعد تطبيقها عمليا. – القوة الإنسانية المسؤولة عن الأخلاق هي القوة الشهوية.	العقل هو المصدر الوحيد للأخلاق. لا يقوم على التجربة سوءا خارجية أو باطنية الأمر الأخلاقي اللاشرطي (ينبغي عليك) هو فينا فطري تماماً، وهذا يعني أن جميع البشر خاضعون لهذا الواجب الأخلاقي؛ لذا فإن الأخلاق مبدأ مطلق عند كانط الإلزام الخلقي ثابت ومطلق
شروط الفعل الأخلاقي	الأول: فعل الجميل والقبيح، والثاني: القدرة عليهما، والثالث: المعرفة بهما، والرابع: هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبي ويتيسر عليها أحد الأمرين	صاغ قوانين للأخلاق، وحدد نقطة انطلاقه من خلال مفهوم آخر هو مفهوم "الإرادة الخيّرة" التي تعد بمنزلة الدعامة الأساسية لكل سلوك أخلاقي.
غاية الفعل الأخلاقي	غاية الأخلاق هي السعادة الأخروية	الغاية من الفعل الأخلاقي في أداء الفعل فقط، وليس للنتيجة أي أهمية. ضرورة القيام بفعل عن احترام للقانون. لا يستند إلى العاطفة أو الوجدان، أي يجب أن نفعل الفعل الأخلاقي لأنه واجب في اتصال مباشر بين الإرادة والأمر الأخلاقي

- **أوجه الشبه والاختلاف وتفسيرهما**:
- **مصدر الأخلاق**:

يختلف الغزالي وكانط في مصدر الأخلاق فيرى الغزالي أن مصدر الأخلاق هو الدين (القرآن والسنة)، ويمكن تفسير ذلك بسبب العامل الديني وهو الإسلام المرجعية الربانية التي لم تشبها شائبه.

أما كانط فيرى مصدر الأخلاق هو العقل فقط وهو المعيار للحكم على الأخلاق، ويمكن تفسير ذلك بسبب الفترة النقدية التي عاشها واعتماده على العقل في مناقشة القضايا والفلسفات الأخرى، وقد يكون بسبب الصرامة والحياة القاسية التي تعرض لها.

- **الفعل الأخلاقي**:

يتفق الغزالي وكانط بوجود حرية الإرادة لدى الإنسان وأن الإنسان خير بطبعه كما يتفقان بأنهما جعلوا العقل مكانة في الفعل الأخلاق، فنرى الغزالي جعل العقل يميز بين الفعل الأخلاقي الجميل والقبيح، وكانط جعل العقل مقياسا ومعيارا للفعل الأخلاقي ويمكن تفسير ذلك تأثر الغزالي بالعامل الديني وهو الإسلام الذي لم يهمل دور العقل ومكانه في التميز كون الله تعالى ميز الانسان عن سائر الكائنات بالعقل بينما كانط نرى العامل الاجتماعي أثر عليه وجعله يعتمد على العقل بشكل كلي في الفعل الأخلاقي فتكون أخلاقا ذاتيه يصيغها الانسان بعقله ولا تصاغ عليه.

بينما يختلفان في محل الأخلاق فيرى الغزالي أن محل الفعل الأخلاقي هو القلب ويمكن تفسيرها بسبب العامل الديني الذي يؤكد أن الاخلاق هي قيم ومبادئ غير محسوسة تترجم بسلوك ظاهري. كما أنه وضع للفعل الأخلاقي أربعة شروط الأول فعل الجميل والقبيح، والثاني: القدرة عليهما، (أي توفر حرية الإرادة إلى الفعل) والثالث: المعرفة بهما، أي (توفر العقل والتمييز بين الأفعال) والرابع: هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبي ويتيسر عليها أحد الأمرين (أي الضمير الأخلاقي "النية")، ويمكن تفسير ذلك بسبب العامل الديني لأن الأخلاق عنده فطرية ومكتسبه بمعنى أن الاخلاق الحسنة نابعة من فطرة الانسان ويمكن تعديل الاخلاق السيئة عن طريق التربية ومصاحبة الاخيار.

أما كانط فوضع الفعل الأخلاقي في صورة قوانين واجبةٍ وملزمةٍ وذاتية؛ ويمكن تفسير ذلك من خلال ثلاثة عوامل مرتبطة أعطته شعوراً شديداً بالواجب، وجعلته يشعر بأن الإلزام الخلقي ثابت ومطلق، وأول هذه العوامل، تربيته الصارمة في المنزل حين كان صغيراً، وثانيهما تركيبه الجسماني الضعيف، الذي أدى به إلى مراعاة نظام صارم للتغذية، أما العامل الثالث فهو مناخ النظام العسكري الذي تدرب فيه الموظفون المدنيون - وكان أستاذ الجامعة في واقع الأمر، موظفاً مدنياً.

غاية الأخلاق:

يتفق الغزالي وكانط بأن لا تكون الأخلاق وسيلة لنيل منفعة أو مصلحة دنيوية، ويمكن تفسير ذلك أن الغزالي وكانط راعوا الكرامة الإنسانية فيأتي تأثير العامل الديني لدى الغزالي والعامل الاجتماعي لدى كانط.

بينما يختلفان في غاية الأخلاق الأخروية فيرى الغزالي أن غاية الأخلاق هي السعادة الأخروية وتحقيق الفضيلة في الدنيا ويمكن تفسير ذلك بسبب العامل الديني ووسطية الإسلام، والمراحل التي مر بها الغزالي وتأثره بالفلسفات اليونانية (أرسطو) (الفضيلة وسط بين حدين).

أما كانط فيري أن غاية الأخلاق في تحقيق الفعل الأخلاقي نفسه (ما ينبغي عليك القيام به) ويمكن تفسير ذلك بسب حبه الكبير للدقة الصورية في كل شؤون الحياة، وإعجاب كانط بالتفكير الدقيق في الرياضيات والفيزياء، واعتقاده أن المبادئ الكلية والضرورية واليقينية بصورة مطلقة هي وحدها التي تستحق أن ننظر إليها على أنها المعرفة العلمية.

- **خامساً: التطبيقات التربوية المستفادة من مفهوم الاخلاق عند الغزالي وكانط**:

هناك عدد من التطبيقات التربوية التي يمكن الاستفادة منها من مفهوم الاخلاق عند الغزالي وكانط كما يلي:

- تربية الأسرة ابناءها على بذل الاخلاق الحسنة في سبيل نيل رضى الله تعالى وتحقيق السعادة الأخروية وقمع المصلحة الشخصية والمنفعة الدنيوية.
- التربية الذاتية من خلال إمكانية التقييم الذاتي قبل اصدار الفعل الأخلاقي بقياسه على العقل على أن يكون قانونا عام للمجتمع، ليلامس الانسان فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي الإرادة الخيرة ومحلها القلب كما أشار إليها الغزالي.
- التربية بالحوار وذلك من خلال تفعيل الحوار العقلاني قبل إصدار الفعل الأخلاقي سواء كان ذاتيا أو مع الآخرين، وهذا ما أكد عليه الإسلام في التعامل مع العقل ففي معنى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أتى إليه رجل يستأذنه بالزنا فكان تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم بالحوار العقلاني: أتحبه لأمك؟ أتحبه لابنتك؟ أتحبه لأختك؟ ...."
- توظيف النشاط الطلابي لتنمية وتعزيز القيم الخلقية في نفوس الطلاب، من خلال الأعمال الفنية كالمسرحيات والمقاطع التمثيلية والأناشيد الهادفة، والمعارض، والندوات، والأعمال المختلفة للأنشطة المتنوعة، والإذاعة المدرسية، وغيرها.
- أن يهتم مخططو المقررات الدراسية بتحقيق القيم والمثل العليا في نفوس الطلاب، من خلال التطبيقات التربوية العملية، التي يمكن قياسها، والتي توجه الطلاب إلى ممارسات وسلوكيات وليس مجرد حفظ المعلومات وتعليم، لان الدين الاسلامي دين وعمل ونظرية وتطبيق.

- الاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي وذلك من خلال ابراز القيم الأخلاقية عن طريق عرض مواد إعلامية غير مباشرة شيقة ومميزة سواء كانت عروض مرئية أو مسموعة.

• **نتائج الدراسة**:

- اختلاف مفهوم الأخلاق في الفكر الإسلامي عند الغزالي عن مفهوم الأخلاق في الفكر الغربي عند كانط.
- اهتمام الإسلام بالأخلاق وبتربية الطفل على الأخلاق المحمودة، لأن عقل الطفل قاصر لا يستطيع التمييز بين الحسن والسيئ، في حين أهمل كانط ذلك ولم يراعي المراحل العمرية.
- عناية الإسلام بمختلف جوانب الإنسان العقلية والوجدانية والسلوكية في التربية الأخلاقية.
- تميزت الأخلاق عند الغزالي بارتباطها الكبير بالدين الإسلامي المعتمدة على القرآن الكريم والسنة النبوية ومنهجها الإرشادي والموجه إلى عموم الناس صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم.
- شمولية مفهوم الأخلاق عند الغزالي بين النظرية والتطبيق، في التربية على الأخلاق.
- قصور الأخلاق عند كانط، وعدم شمولها على منافع وغايات سواء دنيوية أو أخروية.

• **المراجع**:

- أمانويل كانت. (٢٠٠٢م). **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**، ترجمة: عبد الغفار مكاوي. ط١، ألمانيا: منشورات الجمل.
- بدوي، عبد الرحمن. (١٩٧٦م). **الأخلاق النظرية**. ط ٢، الكويت: وكالة المطبوعات.
- الجرجاني، علي بن محمد. (٢٠١٢م). **معجم التعريفات**، تحقيق: محمد المنشاوي. الرياض: دار الفضيلة.
- جيدوري، صابر. (٢٠١١م). المثالية الكانتية وأبعادها التربوية. **مجلة جامعة دمشق**، ٢٧(١)، ٤٤٥ – ٤٨٧.
- حيدر، خضر. (٢٠١٧م). إيمانويل كانط : الفيلسوف الشاهد على الحداثة والناقد لعيوبها. **مجلة الاستغراب**، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، لبنان، ٣(٩)، ٣١٢ - ٣٢٦.
- خزعلي، قاسم محمد محمود. (٢٠٠٥م). الأخلاق بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة الغربية وانعكاساتها التربوية: دراسة وصفية مقارنة. **مجلة عالم التربية**، ٦ (١٧)، ١٦ – ٥٦.
- خليل، نبيل سعد. (٢٠٠٩م). **التربية المقارنة: الأصول المنهجية ونظم التعليم الإلزامي**. القاهرة: دار الفجر للنشر.
- الذهبي، شمس الدين. (١٤١٧هـ). **سير أعلام النبلاء**، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- رايت، وليم كلي. (٢٠١٠م). **تاريخ الفلسفة الحديثة** ترجمة: محمود سيد أحمد. بيروت: دار التنوير.

- الزائدي، آمنة. (٢٠١٩م). مفهوم الأخلاق عند الغزالي، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة المرقب، (١٨)، ٣١٠ – ٣٣٨.
- سالم، البهلول محمد حسين. (٢٠١٦م). الأخلاق عند مسكويه والغزالي: دراسة تحليلية مقارنة. **مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية**، الجامعة الأسمرية الإسلامية، ع (٢٩)، ٢٧٨ – ٢٥٣.
- العساف، صالح بن حمد. (١٤٣٧هـ). **المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية**. الرياض: دار الزهراء للنشر والتوزيع.
- الغزالي، أبو حامد. (د.ت). **إحياء علوم الدين**. دمشق: عالم الكتب.
- الفيروز أبادي. (٢٠٠٨م). **القاموس المحيط**. القاهرة: دار الحديث.
- مراد، فوزية محمد. (٢٠١٤م). الأخلاق في الفلسفة الإسلامية: ابن مسكويه والغزالي نموذجاً. **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة المرقب، (٨)، ٢١٢ – ١٩٣.
- مهناوي سهير. (٢٠١٦م). **فلسفة الأنوار عند كانط**. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر.
- ميلود، حميدات. (٢٠١١م). أبو حامد الغزالي وتأسيس فلسفة الأخلاق. **مجلة دراسات**، جامعة عمار ثليجي بالأغواط الجزائر، ع ١٨، ٦٨ – ٧٧.
- الميمان، بدرية بنت صالح بن عبدالرحمن. **(٢٠١٠م)**. المعرفة التربوية عند الامام أبو حامد الغزالي، **ورقة مقدمة إلى المؤتمر العلمي الثاني عشر – حال المعرفة التربوية المعاصرة – مصر أنموذجاً**، كلية التربية ومركز الدراسات المعرفية بالقاهرة، جامعة طنطا، ٢٢١ -٢٠٢، (نوفمبر، ٢٠١٠م).
- نايجل واربرتون. (٢٠١٨م). **الفلسفة الأسس** ترجمة: أسامة عباس وهالة عباس. الرياض: مركز نماء.
- وطفة، علي أسعد. (٢٠١٣م). في مفهوم الأخلاق: قراءة فلسفة معاصرة. **مجلة شؤون اجتماعية**، جمعية الاجتماعيين في الشارقة، ٣٠ (١١٩)، ٩٠ – ١٢٤.

****